مددت يدي لأغلق تلك الموسيقى الهادئة بعدما خلدت حبيبتي إلى النوم، تنهدت ناظرًا بملامحها الملائكية وابتسمت، أحببتُ تلك اللحظة كل ليلة، قبَّلت شفتيها وتدثرت بدفء أنفاسها فالبرد شديد هذه الليلة بآخر ديسمبر، احتضنتها منتظرًا استيقاظها، همست بأذنيها: أحبك يا معشوقتي.. أعلم أنها ستجيبينني يومًا ما.

فمنذ موتها وأنا أنتظر تلك اللحظة هنا بذلك القبر الموحش، بمقابر البساتين، أنتظرها.

¤¤¤

- أبي، أفق سريعًا.. غرفتنا تلتهمها النيران..

نهضت مفزوعا من نومي على كلمات ابنتي الكبرى ذات العشر سنوات، رائحة احتراق منزلنا يكاد يخنقني، طالت النيران كل شيء ولكنني أنقذتها وأخاها من موت محقق، كانت ليلة عصيبة للغاية فالاثنان هما كل حياتي بعد وفاة والدتهما، بكيا كثيرًا بعدها هلعًا وحزنًا، فبقايا جثتي المحترقة لن ينسونها طوال حياتهم.

¤¤¤

- لا تخف.. أقل من دقيقة ويبدأ مفعول المخدر

همس بها ذلك الطبيب العجيب بأذني وأنا بغرفة العمليات، هذه هي المرة الأولى التي أزور بها هذه المستشفى بعدما شعرت ببعض الآلام ببطني فجأة، ونصحني الطبيب بإجراء عملية جراحية على الفور لانفجار الزائدة الدودية، عدد هائل من المساعدين حولنا، ولكن ما

لفت انتباهي أن أدواتهم الجراحية عجيبة، شِوَك وسكاكين صدئة بأيديهم وكأنني بمطعم يملأه العفن، غبت عن الوعي وكلماته ترن بأذني:- أريد قطعة من المخ.

¤¤¤

التَهمَ طعامه بشراهة وسط ابتسامات حرَّاسه وجنوده، فقد أبلغوني بزيارته لنا، لتبدو زيارة وِدية غير مُرَتَّبة، نظر لي متسائلًا وهو ينهي آخر طعامه:

-لذيذ.. من أين لك بهذا الكبد الرائع.. أهو ضأن أم بقري؟

أجبته ببساطة أمام كاميراته :كلا.. إنه بشري.. فقد ذبحت لك أولادي لتأكل وتشبع.. فلم يعُد لهم مكانٌ ببلدٍ أنت كبيرها!

¤¤¤

تأخرت على موعد مدرستها رغمًا عني، وقفت لأشتري لها بعض الحلوى التي تعشقها وترجلت مخترقًا زحامًا غير اعتيادي، رأيت وجوها شاحبة باكية وسيارة إسعاف يحملون إليها فتاة صغيرة فارقت الحياة بغتة، هكذا يتحاكون، فتاة تأخر عليها والدها سقطت من الدور العلوي، اشتقت لابتسامتها كثيرًا فمنذ رحيل ابنتي الوحيدة بنفس المكان وأنا أصارع الزحام كل يوم لعلّي أنقذها.

¤¤¤

ألم لا يحتمله بشر ينتابني تحت يدي طبيب الأسنان المصر على خلع آخر أسناني، همس بأذني بعد انتهائه من عمله: -أخرج بأمر الله

فمنذ أن أصابني ذلك المس الشيطاني وأنا أتخلص من كل شيء لونه أبيض بجسدي، مهما كانت درجاته، وقفت حينها بالكاد أنتظر من

يُمسك بيدي ليدلني على طريق الخروج، فلم أحفظ أبعاد تلك العيادة الروحانية بعد، منذ أن فقأت عينيّ.

¤¤¤

عشقتها بجنون، حطمت كل القيود لأعيش بجوارها، لأنعم بلهيب أنفاسها، بقربها، ساجدًا بمحراب حبها؛ ولكن ما يشغلني حقًّا، مولودنا المنتظر، أهو من البشر مثلي أم من الجان كحبيبتي؟

¤¤¤